القصص

مأساة من اسخيلوس

ثار أورست

The Choephoroe (١)

الدراما الثانية من (الأورستيه)

للأستاذ دريني خشبه

خلاصة الدراما الأولى

« قدم أجاممنون ، ملك آرجوس وقائد الحملة الهيلانية على طروادة ، ابنته إفجينا قرباناً للسماء لتسكن العاصفة وليسخر أسطوله عباب الماء ؛ فأحزن زوجته كليتمنسترا ، وأم الفتاة لا تفكر إلا في ابنتها ، وزادتها وحدتها في قصر البلوبيديه وحشة ، وجعلت من حياتها نفراً مظلم حتى اتصلت بإيجستوس ابن عم أجاممنون الذي ذبحت إخوته وأطعم أبوهم لحمهم وهو لا يدري ، ثم قتل هو أيضاً ، وكل ذلك بتدبير آتريوس أبي أجاممنون... وهنا تجتمع الأحن وتتضافر الأحقاد ، ثم تنقلب العلاقة إلى حب فعشق ذليل ... فتآمر على قتل أجاممنون حين يعود من طروادة ... ويعود أجاممنون ظافراً وتكون معه كاسندرا ابنة بريام ملك طروادة التي تنبأ بمقتل الملك ، ويقتلها أيضاً بيد الملكة وبتدبير إيجستوس ... وتخدع الملكة زوجها فيمشي على بساط الديباج الأحمر فتنقض الآلهة ، لأن المشي على الديباج حق خالص من حقوقها .. ويقتل الملك وتقتل كاسندرا في أثره ... ويستوي إيجستوس على عرش آبائه مشتركاً مع كليتمنسترا في حكم آرجوس رغم سخط الشعب وإعلان الجماهير ... »

(١) أطلقنا على هذه المأساة « ثار أورست » لأنه خير اسم لها ؛ وترجمة اسمها الحقيقي هي « حاملات زقاق الخمر Libation Bearers » التي لم نجد لها مرادفاً في العربية — وحق هذه الزقاق في معناها اليوناني لا تكتب لا فوق القبور أضحية للموتى . فهل من اسم لها عندنا ؟ ؟

— ١ —

قتل أجاممنون !

وخلص العرش لأيجستوس ولمشيقته الملكة الفاجرة ، كليتمنسترا . ولكنه كان عرشاً شائكاً ، ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه فيه اللعنة الأبدية ، وسخط الأرباب وبغض العباد ...

وكانت الأم الآثمة قد أبغضت كل ما يثير في قلبها ذكرى أجاممنون ... وكيف لا تبغضه وها هي ذي حياتها تنقلب فتكون لذاذة خالصة ، وهوى مجرماً ، وغراماً تخامره شهوة التشفي ، وتختلط بغمراته نُحمى الانتقام ! إذن هي تبغضه ، وهي تغلو في بغضه لأن عيونها في طروادة حملت إليها ما كان من غرامه الشديد بخريسز إحدى سبايا الحرب ، ثم ولعه الفائق بأختها بريسز التي خاصم فيها أخيل ؛ ولم يبال أن يهجر الميرميدون حلبة الروم من أجلها . ولم يكن يحسبه هاتين ، بل عاد من حومة الحرب فاقتحم القصر العتيق الشاهق بعربته المطهمة ، وإلى جانبه خليلة ثالثة من خليلاته الكثيرات ، هي هذه النبية المباركة البائسة ... كاسندرا ، ابنة بريام ، وحبيبة أبولو في الزمن القديم !

أبغضته كليتمنسترا إذن ، وأبغضت كل ما يثير ذكراه في فؤادها ... ولو كان أبناؤها الذين حملت بهم من صلبه ! وهي تقسو وتقسو ، وتغلو في قسوتها ، حتى لتأمر بابنها الواحد أورست ، وكان حدثاً لا يعرف من الدنيا إلا أن نصفها أمه ...

يفيض انسانيته على غيره . . . وقد قتلنا هذا الحب المفرط للغير ، وقد قتلنا هذا الزهد الخامل . تسامى غيرنا فوقنا فهم يريدون أن يعرفوا أنفسهم بعد أن وجدوها ، ونحن تائهون لما نعثر على أنفسنا

تعال أيها النبي أينما كنتَ ، فهنا كثيرون ممن يرتقبون أوبتك . واحمل مباضعك وائت بنفسك وقلبك وأنقط أفكارنا وبث فينا الحياة . أعطنا الحياة وخذ منا فديتها . أتريد منا أن نتألم ؟ إننا نتألم ونحتمل الشقاء في سبيل الحياة . شدد شعورنا بالحياة وزدنا إيماناً بها . اهدنا إلى أنفسنا وحببنا فيها فقد علمونا أن نمقتها . تعال استأصل جذور الضعف فينا والذل فقد أكلت أنفسنا الاحشاشات ... تعال ولا تعطنا شيئاً إلا ما نؤدي ثمنه ، فقد أدركنا أن كل ما يُعطى ويوهب رحمة يضر بآخذه . تعال يا إرادة القوة والصرامة ، فكثيرون هنا يرتقبون وصولك . . . والطريق ممهد ، والغاية دانية القطوف

« انتهى »

« دير الزور »

عدنان الشراري

ونصفها الآخر أمه ... فيُنفى [1] إلى أقصى الأرض ، وليكون بمعزل عن هذه الحاشية الموبوءة التي قد تثير فيه نخوة الرجولة حين يشتد عوده ويتضج قلبه ، فلا يكون له هم إلا الأخذ بثأر أبيه ، والفتك بقاتليه ...

— ٢ —

أما أخته ، أما الكترا ، فقد بقيت في القصر لتشهد الفصل الأخير من المأساة ... أو لتشهد كل الفصول الدامية التي تتركب منها المأساة ! لقد بقيت على كره منها لتعيش عيشة الرقيق ، وتحيا حياة الخدم ، ولترى إلى أمها تتقلب بين ذراعي عاشقها وملء حضنه ، ولتنعم على خرائب أسرة الأتريديه ، ولتبني على أنقاضها القصور والعلالي !

بقيت إلكترا لتبكي دائماً ... ولتبكي دما !! يا للعذارى !! لقد كانت في ملاعب شبابها تحلم بملك وبتاج ، وبشعب يسجد تحت قدميها ، وهي اليوم تتشهى الموت فلا تجد اليه من سبيل !! لقد كانت بالأمس تمرح بين قلبين يغمرانها بالحب ، وأبوين يلقيانها بالبشاشة ، وهي اليوم لا عزاء لها إلا وقفة باكية بقبر أبيها المقتول ، ووقفة تتصدع لها جوانب نفسها عند مخدع أمها العاشقة ... الفاسقة ... وهل في إحدى الوقفتين عزاء ؟ !

بقيت إلكترا ترقب رسول السماء الذي يأخذ بثأر أبيها ، وبقيت لتكون رائد هذا الرسول يوم يجيء . ولم يكن لها من ولي ولا حبيب في هذا القصر الشاهق العتيق إلا هذه العجوز الشمطاء الطيبة ، مرضعة أورست ، التي بكت أحر البكاء وآلمه وأوجعه يوم أخذوا منها ولدها — كما كانت تدعوه — ليُنفى في أقصى الأرض

لقد كانت هذه العجوز الشمطاء امرأة ثاقبة الفكر ، رحبة الصدر ، شديدة الايمان في السماء ! فكانت تواسي إلكترا وتأسو جراحاتها ، وتمنيها الأماني ، وتزخرف لها الآمال ، وتذكر لها أن عين سيد الأولمب الساهرة لن تغفل عن لؤماء قصر الـ (پلوپيديه) وأنها ترعى فتى القصر في منفاه ، حتى إذا آنست فيه استواءً أرسلته كالصاعقة على المجرمين ؛ فنقض بنيانهم ، وزلزل أركانهم ، وانتقم لأحامنون !

(١) ذكر سوفوكليس في درامته الخالدة Electra أن الكترا نفسها هي التي أنقذت أخاها وأرسلته مع خادم أمين ليتربى في كنف جار كريم من رعايا أبيها — ويبدو لنا أن رواية سوفوكليس أقرب الى الحقيقة وسنعرض لها في حينها

وكان قاهر طروادة قد جلب معه غير كاسندرا عدوا وامرأ من السبايا الطرواديات ، فاستطاعت المرضعة العاقلة ، الحكمة ، أن تجعل منهن جندا لها [1] ، وحاشية مخلصة لفتاتها المذنبة ، يخففن من برحائها ، ويكن لها أعلاً كل عزاء الأهل

ومضت سنوات عشر فسقطت طروادة
ومضت سنوات عشر بعد مقتل أجاممنون
واشتد ساعد أورست ، وعاد ليبطش بالفئة السفاكين
وبدأت المأساة الثانية

— ٣ —

لمن هذه الأشباح السادرة التي تهرول بين المقابر مهطعة إلى رمس أجاممنون ؟

إنها تختلط بغبشة الصباح وتمتزج سُعداؤها بأنفاسه ، وإنها لتضمر في قلوبها لظى ينعكس في ذاك الشفق الذي يضطرم به الشرق ... حيث يسبح البنفسج في حمرة الدم ! !

آه ! إنه شاب غرانق ، سمهري ، مجدل بالسواد ، يجثو فوق الثرى ... يبكي ويصلي !! وإن بالقرب منه لصديقا ينتظره ... ويذرف دموعه من أجله ... فيا للعودة في الرزء ، ويا للاخلاص في الشدائد !! اسمع إلى الشاب المحزون : يخاطب تمثال هرمز النصفي المنتصب فوق القبور ، ثم يكلم من بالقبور :

— « يا هرمز اللطيف ، يا إله الأرواح وحاديها إلى هيدز ، أيها الساهر على هذه المقبرة وعلى كل مقبرة ... العون العون ! »

ويضع خصلتين من الشعر على قبر أبيه ، ويقول : « هأنذا أضع خصلة من الشعر هنا تحية لأيناخوس الذي رويت بمائه ، وتزعرعت على شطئانه ... وأخرى تحية للموتى ... يا رحمتا لك يا أبي ! هكذا شاءت قسوة المقادير ألا أكون قريباً منك مأذرف عبرتي الطاهرة فوق ثراك ، وأروي الصفاح المركوم فوق جثمانك بالغيث الغزير الذي أرسلته من أجلك في دار غربتي ! »

— ٤ —

ويقلب وجهه في بنفسج الشرق المموّه بالغرض ، فيلمح نسوة يتمترن في سبيلهن بين المقابر ، مهيمات شطر قبر أبيه ! فيوجس في نفسه خيفة ، ويحسب أن جديداً من نكد الحياة قد ألم بالبقية الباقية من دم أجاممنون في الـ (پلوپيديه !)

ولكنه سرعان ما يعرف بينهن أخته ! أخته بعينها ! هي !

(٢) خورس هذه المأساة من هؤلاء السبايا ، فهن اذن منشدات — لا منشدين — كما في المأساة الأولى

هو ا ... ! وهى تحمل كالأخريات زِقاً صغيرا وتقبل قُدُماً ... سرة ...

— « لم أقبلن إذن فى هذه البكرة المقرورة ؟ يالله ! العون ياسيد الأولب ! صديق بيلاديز ! هلم تختبىء انرى ! »

ويختبىء أورست وصديقه بيلاديز ، وتقبل النسوة فى إثر إلكترا الواهية التى حطم قلبها الحزن ، وأوهن جسمها الأسى ... ويأخذن فى نشيد باك ينفجر فى موسيقاه الدم ... ويمتزج شجوه بالدموع ... ويشرن إلى القبور وبينها هذا القبر ، ثم يتلفتن فيرين القصور النائية وفوقها هذا القصر ! ... فيرتعن لآرجوس ويرثين للفتاة المحزونة الواقفة بينهن ... ويصلن ترنيمتهن ... فيذكرن نأيهن الذى شط واستطال عن الأوطان ويذكرن هذه الشباك المحكمة من الجواسيس والعسس المنتشرة فوق آرجوس ، تلتقط الأبرياء والمظلومين ليروى من دمائهم إيجستوس ، ولتجهز من شبابهم النضر ضحايا لفسق الملكة ! ...

وتتكلم إلكترا ، بعد أن تذرف عبرة أو عبرتين ، فتستثير المنشدات فيها أمرتها أمها الآمة أن تفعل بزقاق الخمر ... فى هذا المكان القفر ... إلا من الذكريات !

— « إذا سيبت قربانى الخمرى ، فماذا أقول ؟ هل أقول « قربانا يا أبى ، من زوجتك التى سفكت دَمك غير راحمة ، نُشْداناً للذة ، وحرصا مجرماً للهوى ؟ » أم أقول « لتهدأى يا رفات ! ولترضىَ بالفدْرة الكبرى التى دُبرت لك ، فلا تنقضى تحت أطباق الثرى لترسلى الويل على الظالمين ؟ » ، أم أصبها وألقى الزقاق ثم أنثنى كأن ليس بى من ذلك الناثم حزن مقيم ووجد دفين ! » تكلمن بحق مودتى عليكن ، فنحن فى الهم شركاء ، ولا تحبسن محض النصح عن فتاتكن ، ولاتخشين فى البلاط الدنس أحدا ، فالأقدار قد شاءت أن تبسط كفها القاسية فى هذه الأساة على رقاب السادة وأعناق العبيد ، حتى يكونوا سواسية ... »

— حُبًّا يا أميرة وطواعية ... إن قبر أبيك يفرض علينا النصح لك »

— « إذن ... ! ! »

— « إذن فاضرعى أن يسمع الأصدقاء لصلاتك ، وتصغى قلوبهم لتوسلاتك ! »

« الأصدقاء ؟ ! أى أصدقاء يعنيهم ما أصلى وما أتوسل ؟ »

— « أنت ، وذلك النائى عن هذه الديار ! »

— « من تعنين بحق الآلهة عليكن ؟ »

— « أورست !! أخاك يا أميرة ! ! صلى من أجله واضرعى للآلهة أن تسعفك به ! »

— « آه ! للآلهة دَرُّكنَّ إذن ! »

— « ثم فكرى فى هذا الدم المسفوك ، وفى أصحابه الأشر الفجرة ! »

— « وكيف ؟ ... ... »

— « قد ترسل الآلهة نقمتها ... »

— « ولله ! وعلى رأس من ؟ »

— « على رؤوس المجرمين ! »

« ويلاه ! المجرمين ؟ ! ومن هم المجرمون ؟ ... يا سماء ! . يا سيد الأولب ! رحماك يا إلهى ! اللهم ارع أختى يثأر لأبى . من ... ممن يا عذارى إليوم ؟ ! ممن ؟ آه ياروح أبى ! وفرق سمواتك ! وانتفضى فى هيدز ! وتعالىَ فأرسلى أورست يثأرلك !

وتترنم المنشدات ، وتأخذ إلكترا فى صب الخمر

— « باللآلهة ! ماذا أجد ؟ خصلتان من الشعر ؟ »

— « خصلتان من الشعر ؟ من رأس من ياترى ؟ »

وتضع الشعر عند رأسها فيبدو الشبه كبيراً ، فتنزعج . .

— « ماذا بك ؟ فيم تمتقعين هكذا ؟ . . . »

— « إنهما من رأسه ! . . . من رأسه هو ! من رأس أخى ؟ »

— « ربما يا أميرة ! ولكن ! كيف جازف بنفسه فى هذه البرية الموحشة ؟ من أرسله ؟ »

وتنظر إلكترا حول القبرة فترى آثار أقدام . . .

— « وما هذا أيضاً ؟ . . . آثار أقدام ! . . . لا ريب إذن ! إنها آثاره ياعذارى !

ولكن ! ! . . . إنها آثار رجلين لا رجل واحد ! . . . آه . . . قد يكون صديقا . . . ياسماء ! . . . »

ثم يظهر أورست فجأة ، ويقول :

— « إذن ! قد سمعت السماء صلاتك !

فتنزعج إلكترا ، وتدهش المنشدات . . .

— « من ! ! من الرجل ؟ . . .

— « أنا ؟ أنا هو ؟ . . . أنا من كنت تهتفين باسمه الآن ! »

— « أوه ! أتخدعنا ياصاح ؟ إذهب ! وحسبنا ماتحن فيه ! »

— « أخدعك ؟ إذن أخدع نفسي !

— « سخرية . . . إذهب ، إذهب ! »

— « سخرية . . . ؟ بمن ؟ بي ؟ . . . أسخر بنفسي ؟ »

— « أفأنت هو حقاً ؟ . . .

— « . . . ؟ ؟ . . . »

ويبكي أورست :

— « . . . ؟ أورست ؟ أخي ؟ »

— « . . . أفي مربة أنت ؟ إلكترا ؟ . . . خذي هذا شعر أيضاً ... خذي ! هاتي رأسك وانظري ! ... ... ولكن انظري أيضاً ! أليس هذا هو الجلباب نفسه الذي خاطته يداك ؟ انه هو ... اللحمة والسدى ! ! والصور المطرّزة ! ... لا ... لا ... لا يقتلك فرحك ! ليس لنا الآن أن نفرح بهذا اللقاء الفاجيء بين يدي ذلك القبر المنفرد ! إن لنا لساعة ! ... كبحي جماحك ، وهيمني على فؤادك ! فلنا أعداء ... وهم أقرب الناس إلينا ... »

— ٥ —

ولم يكذب أورست ، فلقد كاد الفرح يقتل إلكترا ؟ إنها لم تره منذ عشرين سنة ؟ ثم ... أليس هو الآن بين يديها بعد طول انتظار ... وأحلام ... وأماني ؟ ... أو لم تكن هذه اللحظة فقط ، تصلي للسماء ، وتضرع للآلهة ، أن ترسل لها أورست ؟ أليست السماء قد صغت ، والآلهة قد استجابت ؟

لقد كانت أنها رأت في نومها حلماً مزعجاً ممضاً ... رأت أنها تلد أفعى هائلة ، ذات أنياب ! وأنها تأخذها فتضمها إلى صدرها ... ! يا للهول ! إن الملكة تنتفض من نومها مذهولة مروّعة ! ... وإنها لتذكر أجاممنون فجأة ... تذكره بعد عشرين سنة ! وتذكر أورست المنفي بأمرها في أقصى الأرض ! وإنها لتهب من السرير الديباجي الوثير ... وتنثر ذراعي إيجستوس الجبارتين الملفوفتين حول خصرها ! ... وإنها لتنطلق في القصر مذعورة في أبهائه ... إلى ... بهو العبيد والخدم ... بهو العذارى الطروادیات ، حيث تنام إلكترا على فراش من الشوك ، تفكر في عشرين سنة مملوءة بالدم ... مملوءة بالدم ... مملوءة بالدم ...

وإن الملكة لتوقظها من أحلامها ، وتأمرها ، وسائر الطروادیات ، فينطلقن إلى المقابر بزقاق الخمر ، يسقين الثرى ،

ويقربن إلى أجاممنون ... ويرضين روحه الغضبي ! !

ولكن ، ولكن الصلاة تنقلب ، والقربان يصعد إلى السماء فيغضب الآلهة ، فترسل أورست ، ويتحقق الحلم الأسود ... الأفعى ! الأفعى ذات الأنياب ، يتدفق منها السم الزعاف ! !

ويصليان لزيوس صلاة حارة ، ويضرعان إليه أن يكون معهما فيما هما قادمان عليه من ذلك الهول الأكبر ... فإذا ارتفع صوتهما ، وعلا جؤارهما ، تقدمت رئيسة المنشدات فابتهلت إليهما أن يتكلما همساً — « فقد تسمعكما أذن شر فيفشل سعيكما وتذهب ريحكما ، ولا تقوم لكما قائمة من بعد ! » فيطمئنها أورست — « ليفرخ روعك أيتها السيدة الصالحة ! فلقد أرسلني أبولو لآخذ بثأر أبي ، فإن لم أفعل ، فليجمد دمي حتى يكون كالثلج في عروقي ! لا بد أن يشربا بالكأس التي أفرغاها في فم هذا الثاوي هنا ... يتطلع إلى ما يفعل له ابناه ، وآخر أثارة منه في هذه الحياة ! »

ويتقدم الفتى والفتاة فيصليان على قبر أبيهما صلاة حارة ، ثم يعطيانه موثقاً صادقاً أن يثأرا له ، ولو كلفهما الأمر له هذه الصبابات من الدم التي أبقى عليها الأسى في عروقهما

ويلتمسان منه العون ، ويضرعان إلى السماء أن تكون معهما ، والى الآلهة أن تسدد خطاهما

(البقية في العدد القادم) دريني خشبة

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :

تاريخ الأدب العربي

في جميع عصوره

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفاً جديداً

الثمن ٢٠ قرشاً ما عدا أجرة البريد